الورقة التحليلية

مستقبل فكر الغلو والتطرف بعد

داعش

وآليات التعامل معه

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

المحتويات

مقدمة:	1
نظرة عامة على أجواء الندوة وسياقها وأهم المحاور التي تمت مناقشتها:	2
تقييم ما آل إليه تنظيم "داعش" والتنظيمات المشابهة وفكر الغلو عموماً:	2
الدور الوظيفي لفكر الغلو وتنظيماته:	4
هل يمكن الاستثمار في توظيف تنظيمات الغلو من قبل قوى الثورة كما تفعل بقية القوى؟	4
ومضات استشرافية حول الغلو والتطرف:	5
الغلو ونشاطه في ظل غياب النماذج:	6
الآثار الاجتماعية والثقافية لانتشار تنظيمات الغلو والتطرف:	7
دروس مستفادة واضاءات حول التعامل مع فكر الغلو وتنظيماته:	7
كيف يمكن أن تنظر المعارضة الوطنية لملف المقاتلين الأجانب؟	9

مقدمة:

تركز غالبية الكتابات بعد انتهاء "داعش" جغرافياً ومكانياً على مستقبل هذا التنظيم فكرياً وعقدياً، ولعل أبرز ما تشترك به التأكيد على أن أفكار "داعش" لم تمت، وما تزال قائمة، وأن التنظيم سيتحول في المستقبل إلى استراتيجيات أخرى بعد خسارته للحيز الجغرافي في سوريا والعراق بشكل شبه كامل، من قبيل "الذئاب المنفردة" و"الخلايا النائمة"، أو التحول إلى حيز جغرافي جديد.

في السياق السوري، تظهر أهمية هذا الموضوع في أنّ قسماً كبيراً من أصحاب الفكر المتطرف "بقايا داعش"، وعدد من عناصر هيئة تحرير الشام وقياداتها، وتنظيم حراس الدين...إلخ، قد تجمعت في الشمال السوري، الأمر الذي يطرح تساؤلاً عن كيفية التعامل مع هذا الفكر ومآلاته، باعتبار وجود أعداد من المنتسبين له من السوريين، مع ما يفرضه ذلك من ضرورة البحث عن استراتيجيات وآليات وأدوات للتعامل مع تلك الظاهرة الخطيرة ذات التبعات على المستويات الأمنية والمجتمعية والفكرية.

بهدف تقديم قراءات استشرافية للتعامل مع ظاهرة الغلو ضمن السياق السوري بعد القضاء على الحيز الجغرافي ل"داعش"، وتراجع خطاب الغلو على المستوى المجتمعي والإعلامي والعسكري، أقام مركز الحوار السوري مجموعة نقاش مركزة تحت عنوان: "مستقبل فكر الغلو والتطرف بعد داعش وآليات التعامل معه"، حيث ناقشت مجموعة النقاش العديد من القضايا، كاستشراف مآلات تنظيم داعش ومثيلاته بعد القضاء عليه عسكرياً، والآثار المتوقعة لنهاية التنظيم في المستويات السياسية والاجتماعية والأمنية والفكرية، والأدوات والآليات المناسبة لمعالجة الآثار السلبية لنهاية هذا التنظيم، بما يساهم في تمتين البنية المجتمعية ومعالجة الآثار الكارثية الناتجة عن هذا الفكر وسلوكه، وذلك في استنبول، يوم السبت 29 شعبان 1440هـ، الموافق لـ 5/4/ 2019م.

يأتي هذا التقرير ليضع القارئ الكريم في أجواء الندوة والنقاشات التي دارت فيها، وإيضاح السياق العام الذي أقيمت فيه الفعالية من خلال توضيح الأسباب التي دفعت إليها، وبيان أهميتها، والهدف منها.

وقد أُعدّ هذا التقرير الموضوعي من خلال اتباع قاعدة "تشاتام هاوس"[1] ، ومن دون التقيد بالترتيب الزمني للعرض والمداخلات، حيث استخدم التقسيم الموضوعي بقصد ترتيب الأفكار بطريقة سلسة وموضوعية تساعد القارئ -قدر المستطاع- على فهم المضمون.

[1] يقصد بقاعدة "تشاتام هاوس" بأنه: «حينما يعقد اجتماع أو جزء منه في إطار قاعدة تشاتام هاوس، فإن المشاركين يكونوا احراراً في استخدام المعلومات التي يحصلون عليها، لكن من دون كشف هوية المتحدث أو انتماءه أو أي شخص آخر، ودفعاً للقارئ للتركيز على سياق الحوار ومضمونه بغض النظر عن أشخاصه.للتوسع حول هذه القاعدة، ينظر: قاعدة تشاتام هاوس، ويكيبيديا.

نظرة عامة على أجواء الندوة وسياقها وأهم المحاور التي تمت مناقشتها:

لقد عمل مركز الحوار السوري مبكراً ومنذ نشأته على مراقبة ظاهرة الغلو والتطرف ونشوئها والتحذير منها داخل أوساط المعارضة السورية، من خلال إصدار الدراسات وعقد الندوات التشاورية التي كان يحضرها مختلف ممثلي قوى الثورة والمعارضة، إضافة إلى عدد من العلماء الشرعيين وقادة الرأي ذوي المصداقية[2]، وتأتي إقامة "مجموعة النقاش الحوارية" في استمرار لجهود مركز الحوار السوري في رصد ظواهر الغلو والتطرف وكيفية التعامل معها.

وقد تداول الحاضرون العديد من الآراء والأفكار التي أدلوا بها خلال جلستين امتدتا لأكثر من ثلاثة ساعات وفق محاور محددة مسبقاً من قبل الميسرين، ومع ذلك، أتاح الميسرون انسيابية الآراء خارج المحاور المحددة دون التقيد الصارم بترتيبها زمنياً بهدف تفعيل العصف الذهني وتوليد الأفكار، وقد تنوع الحاضرون بين باحثين وخبراء في شؤون الحركات الإسلامية، وباحثين شرعيين متخصصين في دراسات الغلو والتطرف، وناشطين سياسيين وإعلاميين، وممثلين لفصائل المعارضة.

وقد أخذ التداول حول تقييم ما آل إليه تنظيم "داعش" وفكر الغلو عموماً، وما تعلق به من دروس مستفادة واستشراف للمآلات المستقبلية حظّاً واسعاً من وقت الندوة، إضافة إلى مداولات عن الدور الوظيفي لتنظيمات الغلو، والنماذج الإسلامية المعتدلة الممكن تقديمها، والآثار الاجتماعية والفكرية لانتشار تنظيمات الغلو وفكره، وأفكار ودروس مستفادة في التعامل مع فكر الغلو، وسوف نستعرض أهم تلك الأفكار المتداولة بين المتحاورين تحت العناوين المذكورة.

تقييم ما آل إليه تنظيم "داعش" والتنظيمات المشابهة وفكر الغلو عموماً:

رأى باحث شرعي سياسي بأن السياسة التي تم من خلالها محاربة تنظيم داعش عبر الاستعانة عليه بإرهاب المليشيات الطائفية لا تؤدي إلى نتائج إيجابية في القضاء على التنظيم، وإنما إلى "انزياحات" في الأمكنة التي ينشط فيها التنظيم، خاصة مع استمرار الاستبداد السياسي والسجن والقمع، الأمر الذي يدفع الشباب إلى التنظيمات المتطرفة، الأمر الذي أيّده باحث شرعي متخصص في شؤون جماعات الغلو، معتبراً بأنّ تنظيم "داعش" يعود الآن إلى أحد أشكاله وصوره التي كان عليها لزمن طويل، باعتباره استمراراً لتنظيم القاعدة، الأمر الذي يُخلّصه من أعباء الجغرافيا وتأمين احتياجات الناس، وهو ما يُلحظ من تنظير في أدبيات هذا الفكر، من الحديث عن الخلايا النائمة، والشباب المؤدلج، والذئاب المنفردة، وإدارة التوحش،

[2] ينظر على سبيل المثال، الندوات التشاورية من الأولى حتى الرابعة في العام 2014، والتي حضرها 60 شخصاً من مختلف الأطياف، http://sydialogue.org/ar/24 ، ومؤخراً، قام مركز الحوار السوري، وبالشراكة مع "مؤسسة قرطبة بجنيف" بإقامة ندوة حوارية بعنوان: " نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة" في مدينة استنبول، يوم السبت 22 ربيع الآخرة 1440هـ، الموافق لـ 12/29/ 2018م، http://www.sydialogue.org/ar/news/60.

مستشهداً بما ذكره أحد منظري فكر الغلو بقوله: "يكفينا ألف رجل في العالم الإسلامي حتى نزرع الرعب في قلوب الناس"، لافتاً إلى أنّ فكرة "إقامة الدولة" شاذّة نسبياً عند منظري هذا الفكر، مؤكداً على أنّ فكر الغلو قد تلقى ضربة كبيرة في سورية تحديداً، الأمر الذي أيّده بدروه باحث شرعي متخصص، معتبراً بأنّ تنظيم الدولة وتنظيمات الغلو المشابهة قد أحرقوا أنفسهم من خلال ما أظهروه من نموذج تسلطي، وهذا ما أسدى خدمة كبيرة للأمة الإسلامية عامة بحسب توصيفه.

وفي سياق متصل، اعتبر خبير بالوضع العراقي بأنه من الخطأ الحديث عن انتهاء تنظيم "داعش"، حيث أنه يتمظهر في أحد أشكاله مجدداً، ولا زال موجوداً في المناطق الغربية للعراق، وبعض المناطق الشرقية من سورية، مؤكداً على ما تم ذكره سابقاً من أنّ محاربة التنظيم بأدوات طائفية تدفع الشباب المحتقن إلى أحضان "داعش"، وهو ما كان مطلوباً في العراق من بعض الجهات بهدف قمع الحراك الشعبي العراقي. واستشهدت باحثة بوجود أرقام مبالغ فيها لعدد القتلى والأسرى على غموض مسألة انتهاء "داعش"، معتبرة بأنّ الكثير من قيادات التنظيم قد اختفت، وهي مختبئة، وتتحيّن الفرص المناسبة للعودة.

وفي تناول للقضية من زاوية أخرى لما ورد سابقاً، أشار باحث إلى ضرورة التوازن في النظرة لموضوع انتهاء التنظيم، وأنّه على الرغم من الإقرار بأنّ التنظيم لم يتم القضاء عليه نهائياً، إلا أنّ انتهاء شكله السابق الذي كان يجذب الشباب إليه بحيث يدخلونه "أفواجاً" وبأعداد كبيرة يُمثّل تطوراً إيجابياً لا بدّ من الإشارة له والإشادة به بشكل تفاؤلي، مؤكداً على أنّ النموذج السابق لتنظيم "داعش" بوصفه "دولة وخلافة" قد خدع الكثير من الشباب و الشرائح المختلفة، بمن فيهم عدد من الأطياف المتعلمة، الأمر الذي انتهى حالياً مع سقوط أسطورة "داعش" ودعايات بقائها وتمددها، ليؤكد على ذلك باحث آخر، مضيفاً بأنّه لم يسبق لأيّ تنظيم جهادي أو أي تنظيمات أخرى أن تمّ استهدافها وتصفية قادتها وعناصرها كما تم مع تنظيم "داعش" ومعظم الصفّ القيادي فيه، مما يعني القضاء عليه عملياً، وبالتالي لا عبرة لظهور البغدادي ومعه بعض الأتباع.

كما شدد الباحث على ضرورة فصل انتشار الفكر عن وجود التنظيمات، مستشهداً بأمثلة من الواقع، كوجود الفكر السلفي الجهادي في الأردن ولسنوات طويلة، والذي لم يؤدّ بحسب رأيه لنشاطات تذكر للتنظيمات الجهادية وعملياتها في الأردن طوال سنوات طويلة، وبالتالي، لا يعني استمرار وجود الفكر عدم انتهاء التنظيم، ليؤكد باحث شرعي ومن وجهة نظر شرعية على أن فكر الغلو وانتشاره أمر قدري قدّره الله على الأمة الإسلامية، مستشهداً بما دلت عليه الأحاديث النبوية عن الخوارج، بأنهم سوف يقاتلون في صفوف المسيح الدجال في آخر الزمان، مستطرداً بأنّ تنظيمات الغلو الحالية هي تنظيمات استخباراتية، وبالتالي، الانضمام لها غير متعلق بأسباب الغلو الفكرية فقط، مشيراً إلى تطور مُتّسق مع تغلغل التوظيف الاستخباراتي في سلوك بعض جماعات الغلو، وهو اتجاه تلك الجماعات نحو "الباطنية" غير المعهودة تاريخياً، كما هو حال

بعض الجماعات التي تظهر تحولات براغماتية، لتحاول تصدير "حكومات تكنوقراط"، مع البقاء متحكمة بمفاصل صناعة القرار، ليؤكد باحث آخر على قِدَم الفكرة نفسها لدى بعض منظري فكر الغلو، حيث ورد ما يشابه تلك الأفكار في مراسلات "العولقي" مع "ابن لادن"، حيث سميت من قبلهم ب "نظرية الأقدام الثقيلة"، وقد أشار مختلف الباحثين خلال مداخلاتهم بأن تقييم مآلات تنظيمات وفكر الغلو ومستقبله لا ينفكّ عن الأدوار الوظيفية لها.

الدور الوظيفي لفكر الغلو وتنظيماته:

أشار باحث شرعي سياسي إلى مسألة توظيف تنظيمات الغلو من قبل مختلف الأطراف في الصراعات الدولية، كونها أضحت أدوات أساسية تستخدمها الدول لتحقيق مآربها، من خلال تنفيذها لمهمات لا تستطيع الدول مباشرة تنفيذها، وهي اليوم من أهم أدوات "الثورات المضادة" التي تستخدم لإعادة تأهيل أنظمة الفساد والاستبداد، كما أكد خبير في الحالة العراقية على الفكرة ذاتها في معرض استدلاله على عدم انتهاء تنظيم "داعش"، باعتبار الحاجة لاستخدامه ما يزال مستمراً لدى معظم الفاعلين، من الأمريكان والايرانيين والنظام السوري وقوات سورية الديمقراطية، مؤكداً على أنّ دور "داعش" الوظيفي في إجهاض الحراك السني في العراق هو الذي استدعى حضورها من قبل الفاعلين.

كما أشارت باحثة إلى استمرار استثمار الروس في وجود "التنظيمات الإرهابية"، وملف "هيئة تحرير الشام" في الشمال السوري كذريعة لاستمرار التصعيد في منطقة إدلب، مستشهدة بما حدث مؤخراً من قصف روسي استهدف أحد السجون الموجودة فيها كانت تحوي محتجزين من تنظيم "داعش"، مما أدى إلى هروب عدد منهم، فيما بدا أنه عمل متعمّد من قبل الروس لاستثماره سياسياً ضد الأتراك والمعارضة.

كما أكد ممثل لأحد الفصائل السورية على استخدام تنظيم "داعش" بشكل واضح لإجهاض الثورة السورية وتشويهها وتشويه الإسلام بشكل عام، مشيراً إلى محاولات إعادة التعاطف مع التنظيم مؤخراً من خلال تنفيذ مجزرة "الباغوز" التي تثير تعاطف الناس معهم. وقد أثارت فكرة الدور الوظيفي لتنظيمات الغلو فكرة مرتبطة بها، وهي إمكانية توظيفها لخدمة الأهداف الثورية طالما يستخدمها الآخرون.

هل يمكن الاستثمار في توظيف تنظيمات الغلو من قبل قوى الثورة كما تفعل بقية القوى؟

في معرض حديثه عن الجذور التاريخية لطوائف الغلو وتشعباتها، أشار باحث متخصص في جماعات الغلو إلى طائفة الحشاشين التي اشتهرت بتنفيذ الاغتيالات تاريخياً، والتي حاولت قتل صلاح الدين الأيوبي، لتختلف خارطة التحالفات، ويقوم صلاح الدين نفسه بتحويلهم إلى كيان وظيفي يخدمه، ليغتال من خلالهم أحد ملوك "الصليبيين".

وقد أشار مسؤول سياسي في أحد الفصائل إلى أنه ليس من الخطأ الاستفادة من نشاط بعض تلك التنظيمات في محاربة نظام الأسد مثلاً في ظل تعقيدات الأوضاع وتشابكها، دون تغذيتها ودعمها، طالما أن النظام يستعين بالمليشيات الطائفية والمرتزقة من كل أنحاء العالم.

بينما رأى باحث سياسي بأنّ الأضرار الناجمة عن مثل هذا الاستثمار مضاعفة، خاصة فيما يتعلق بتعميم توصيف قوى الثورة والمعارضة بالإرهاب، وأيده في ذلك باحث في السياسة الشرعية مشيراً إلى أنه بالأصل ليس مسموحاً لقوى الثورة والمعارضة الاستثمار في الظاهرة، حيث أنّ الدول العظمى تستثمر بشكل مزدوج في الإرهاب ومحاربته لتؤهل أطرافاً معينة سياسياً باعتبارها ممّن حارب الارهاب، كحالة قوات سوريا الديمقراطية أو النظام السوري.

ومضات استشرافية حول الغلو والتطرف:

أكد باحث شرعي متخصص في شؤون الجماعات المتطرفة على أنّ فكر التطرف والغلو قد تلقى ضربة كبيرة في سورية بعد الثورة السورية وما تلاها من أحداث، حيث فضحت الثورة السورية فكر الغلو وتنظيم "داعش" بشكل خاص، مشيراً إلى أنّ العالم الإسلامي كان قد شهد تأييداً نسبياً لتنظيم "دولة العراق الإسلامية" -والذي عرف فيما بعد باسم "داعش"- رغم ممارساته الاجرامية ضد فئات عديدة من المجتمع العراقي بسبب الانخداع بشعاراته، الأمر الذي تغير بعد الثورة السورية. مع ذلك، رأى الباحث بأنه إذا ما قسّمنا أسباب نشوء الغلو إلى أسباب ذاتية وموضوعية، نجد بأنّ الأسباب الذاتية قد تراجعت بشكل كبير، وهو الأمر الذي أسهم بتلقي فكر الغلو لضربة كبيرة، وذلك على الرغم من استمرار وجود الأسباب الموضوعية، كوجود النظام الطائفي والاستبداد السياسي، وتسلط الأجهزة الأمنية، والفساد المالي، ومحاولات مصادمة هوية الأمة، إضافة إلى صعود اليمين المتطرف في الغرب. ووافقه في ذلك باحث آخر، معتبراً بأن هذا الأمر ينطبق على حالة سورية والعراق، حيث انكشف عوار التنظيم، لكن الأمر مختلف في حالة عدد من البلدان الإسلامية الأخرى، البلدان غير العربية منها بشكل خاص، حيث تعمل فوارق اللغة وضعف الثقافة الإسلامية وقدرة التنظيم على الدعاية في استمرار اجتذاب تأييد للتنظيم.

وفي ذات السياق، حذّر باحث آخر متخصص في جماعات الغلو والتطرف من التسليم لفكرة تراجع الغلو، معللاً رأيه بأن حالة الغلو لا تنفكُّ عن كونها حالة من الاختراق الأمني بالدرجة الأولى، وبالتالي يتوقع لها التصاعد باعتبارها أمراً يخضع للتطوير بشكل دائم ومكثف، خاصة مع الأخذ بعين الاعتبار ما حدث من اختراقات في أجسام الثورة السورية عسكرياً ومدنياً وشرعياً، الأمر الذي يجب معه عدم استبعاد مفاجئات غير متوقعة، خاصة مع وجود ثغرات فكرية كبيرة لا تزال بحاجة للعمل عليها، واستغلال تنظيمات الغلو للبعد المصلحي في التعامل مع الفصائل الثورية.

الغلو ونشاطه في ظل غياب النماذج:

أخذ تحليل ظاهرة الغلو وما يغذيها حظاً واسعاً في الندوة، ومن ذلك، ما توافقت عليه عدّة مداخلات فيما يتعلق بغياب النماذج والمشاريع البديلة، حيث اعتبر باحث شرعي بأنّ المساهمة في احراق البدائل السياسية من قبل بعض التيارات الإسلامية، المتمثّلة بمشاركة عدد من التيارات والأحزاب الإسلامية تحت سقف "الديمقراطية"، إنّما يزيد من توجّه الشباب نحو تيارات الغلو، ليجيب باحث آخر بأنّ مشاركة بعض التيارات الإسلامية في العمل السياسي قد يؤدّي في المآل إلى جنوح الشباب نحو التطرف بسبب ما يحدث من ظلم للحركات الإسلامية وزجّها في السجون عبر تنفيذ الانقلاب عليها لدى وصولها الشرعي للسلطة، كما حدث في مصر والجزائر سابقاً، الأمر الذي وافقه به باحث آخر، موضحاً بأنّ فشل الحركات الإسلامية قد ساعد الغلاة في تبرير فشلهم المتكرر.

فيما رأت باحثة في الفكر الإسلامي بأن ما يجعل فكر التطرف قابلاً للاستنساخ بشكل دائم، هو غياب المشروع النهضوي الاسلامي المبني على إجابات حقيقية إسلامية أصيلة غير مستوردة في ظل تكرار الطروحات الترقيعية، كمحاولات استيعاب مصطلحات "الديمقراطية والبرلمان"، وما يشابهها. ليعلق باحث شرعي بأن الأصالة في الطروحات الشرعية لا تتناقض مع الأخذ من الثقافات والحضارات الأخرى، كما فعل الصحابة الكرام من خلال انفتاحهم على الثقافات المختلفة، الأمر الذي وافقت عليه الباحثة في الفكر الإسلامي، لكنها شددت في ذات الوقت على ضرورة التمييز بين ما يمكن أخذه من الحضارات والثقافات الأخرى، وما لا يمكن استيعابه منها لتناقضه مع القيم الإسلامية.

في المقابل، رأى باحث سياسي بأنه من الخطأ التعويل على استيعاب النماذج الإسلامية والسياسية لطموحات الشباب التي تلبيها التنظيمات المتطرفة، مشيراً إلى حالة تكررت في الثورة السورية، وهي قراءة الخطاب الثوري بعيون الآخرين المتطرفين مراعاة لهم، ضارباً أمثلة لذلك من خلال تأخر العديد من الفصائل في اعتماد علم الثورة السورية مراعاة لبعض المجموعات المتطرفة، والتي بدورها انتهجت نهجاً برغماتياً مغايراً عند حاجتها لتلك المواقف من دون مراعاة لماضيها ونظرتها الايديولوجية السابقة للعديد من القضايا، في سياسة معاكسة لسياسة تلك الفصائل التي قامت بمراعاتها.

كما أشار باحث شرعي متخصص في شؤون جماعات الغلو إلى ضرورة عدم تعليق زوال الغلو بإقامة المشروع السياسي، خاصة مع عدم وجود القدرة حالياً على إقامة مشروع إسلامي، مؤكداً على ضرورة الاقتصار ضمن القدرة والإمكانات المتاحة على الاصلاح الجزئي للمشاريع الأخرى، محذراً بالتالي من إيقاع الشباب في أوهام المشاريع الإسلامية الحالمة. ليضيف باحث شرعي بأنه من الطبيعي أن ينمو التطرف عند غياب البدائل، وكما هو معروف في التراث الشرعي، بأن السنة تميت البدعة، وتزداد هذه الحالات في ظل غياب العلماء عن التفاعل مع الشرائح الشبابية، ليوافقه ممثل سياسي لأحد الفصائل مستشهداً بالحديث النبوي الذي يصف حال الغلاة بأنهم "يخرجون على حين فرقة من المسلمين"، بالتالي، هم يستغلون غياب العقد

الاجتماعي والتوافق الداخلي، الأمر الذي أكده باحث سياسي من خلال إشارته إلى نمو تنظيمات التطرف في البيئات التي تنهار فيها الدول ومؤسساتها في منظور شعوبها، كما هي الحالة في العراق وسورية، حيث ملأت تلك التنظيمات الفراغ الناتج عن غياب الدولة والتعاقد المجتمعي بين الفئات المجتمعية المختلفة.

الآثار الاجتماعية والثقافية لانتشار تنظيمات الغلو والتطرف:

لفتت باحثة في الفكر الإسلامي إلى وجود آثار طويلة الأمد لفكر الغلو وتنظيماته من خلال وجود عائلات وأولاد للكثير من منتسبي ذلك فكر وتنظيماته، مما يُرجّح أنهم سوف يحملون مظلومية آبائهم أو أقاربهم، خاصة مع الظلم الواقع عليهم بجريرة آبائهم أو أقاربهم من قبل المجتمع، مشيرة إلى الأخبار التي تحدثت عن اعتقالات بالجملة في مناطق المصالحات لزوجات وأخوات وأقارب المتهمين بالانتساب للتنظيمات المتطرفة من قبل النظام السوري، وهو مما سيؤدي إلى جانب عوامل الظلم الأخرى، كالثورات المضادة، وما يتم الحديث عنه من صفقة القرن إلى تغذية متجددة للغلو والتطرف، الأمر الذي أكدت عليه باحثة أخرى من خلال إشارتها إلى وضع السكان في الشمال السوري، والذين باتوا يواجهون تصعيد الروس والنظام السوري دون وجود خيارات أمامهم سوى المواجهة، الأمر الذي قد يهيئ الظروف لنمو التطرف، خاصة في حال عجز الفصائل العسكرية عن صد العدوان بسبب ترهلها وميولها نحو التنافس على النفوذ والسيطرة على الموارد والمناطق.

في المقابل، رأى باحث آخر بأنه من المبالغة بمكان اعتبار عناصر التنظيمات المتطرفة وعائلاتهم مشاريع لانتشار الغلو، وذلك لأن نسبة لا بأس بها من تلك العناصر دخلتها بدوافع مصلحية ومادية، لا إيماناً بتلك التنظيمات وأيديولوجياتها.

كما لفت باحث إلى حوادث الانتقام والثأر من أقارب منتسبي تنظيم "داعش" التي حدثت في بعض البلدات في الشمال السوري، والمرشحة للتكرار، إضافة إلى تشكيل نساء المنتسبين لتنظيم "داعش" حسبة نسائية لـ"تطبيق الشريعة" في أحد المخيمات التي تم تجميعهم فيها، مما يشير إلى تأثيرات عميقة طويلة الأمد لما زرعه التنظيم من أفكار الغلو وما يغذيها أو ما نتج عن الشروخ المجتمعية بسبب القتال الذي حدث بين التنظيم والفصائل. كما أشار باحث آخر إلى لعب تنظيمات الغلو على وتر العاطفة عند الشباب من خلال استخدام "الأناشيد الجهادية"، والتي تؤدي إلى سرعة بتأثر الشباب بشكل عاطفي وجداني، خاصة مع استخدام قضايا الأمة والشعوب في كلمات الأناشيد، الأمر الذي يؤدي إلى إشكالية تراكمية متجذّرة في الوعي الوجداني العاطفي لدى الشباب.

دروس مستفادة واضاءات حول التعامل مع فكر الغلو وتنظيماته:

في معرض الحديث عمّا يُغذّي التّطرف والغلو من ممارسات وعوامل، ومن غياب للبدائل النموذجية للشباب، تناثرت على ألسنة المتحاورين العديد من الاضاءات واللمحات ممّا يمكن اعتباره دورساً مستفادة حول التعامل مع التطرف والغلو

وتنظيماته، ومن ذلك ما دار من حوار حول إمكانية الاستثمار في تنظيمات الغلو أسوة بما تفعله قوىً أخرى مما ورد مسبقاً في الورقة، حيث رأى باحث بأنّ التعقيدات المجتمعية السورية وتداخلاتها مع حالة تنظيمات الغلو قد أدى إلى فرض التعامل الحذر المتدرج مع "جبهة النصرة" بعد المفاصلة الثورية التامة مع تنظيم "داعش"، على الرغم من أنّ هذا الأمر قد أدّى لاحقاً إلى شرعنة وجود "جبهة النصرة" داخل قوى الثورة والمعارضة من خلال التنسيق معها في غرف العمليات والتحالفات بأمل تشجيع التحولات نحو الاعتدال في "جبهة النصرة"، ولاحقاً تنظيم "هيئة تحرير الشام"، الأمر الذي بدا غير مجد نظراً لاستمرار عدوان "جبهة النصرة" على بقية الفصائل، مما يطرح التّساؤل حول مدى صحة سياسات التدرج والاحتواء التي تمت ممارستها، في الوقت الذي يطرح فيه البعض سياسة المفاصلة التامة مع كافة تنظيمات الغلو والتطرف أو الفصائل المتأثرة به، فيما رأى باحث بأن تنظيم "هيئة تحرير الشام" قد تحول بالفعل إلى تنظيم محلي بعيد عن "الجهاد العالمي"، وعنده كل الاستعداد لعقد الصفقات مع الدول في سبيل بقائه، ليتوافق معه ممثل سياسي سابق لأحد الفصائل، مستنتجاً بالتالي ضرورة التعامل الحذر مع هذا الملف بوصفه ملفاً معقداً، مما يُرجّح صحة محاولة الاستفادة من وجود هذا التنظيم (هيئة تحرير الشام) في العمليات العسكرية ضدّ النظام، والاستثمار في أمثال تلك التنظيمات ولو في حده الأدنى من خلال درء أو تأجيل مواجهتهم المكلفة.

وفي السياق ذاته، رأى باحث شرعي متخصص في حركات الغلو ضرورة الفصل بين المواقف العلمية، والمواقف الأمنية والعسكرية، فلا بدّ -بحسب رأيه- في المواقف العلمية من المفاصلة التامة مع جميع أشكال الغلو والتطرف ليتم التعامل معها على سوية واحدة، أما المواقف الأمنية والعسكرية فيتم التحرك بها تكتيكياً بحسب المصالح، ووافقه في ذلك باحث آخر متخصص في حركات الغلو والتطرف، مؤكداً على ضرورة المفاصلة القطعية مع تلك التنظيمات حتى فيما يتعلق بالتنسيق الميداني، فيما رأى خبير في الحالة العراقية ضرورة التفريق في التعامل بين مختلف تنظيمات الغلو حتى في الخطاب والبيانات، لضرورة "عدم الجمع بين مختلف الأعداء في وقت واحد" بحسب تعبيره.

وعلق باحث حول التعامل مع بعض الزوايا والأبعاد الفكرية لموضوع الغلو، حيث رأى ضرورة تعزيز الخطاب المقاصدي في الشريعة، مع ضرورة تجاوز العديد من "الاجتهادات الفقهية القديمة"، والتي يستند الغلاة إليها في تعزيز خطابهم، ضارباً أمثلة معينة، كاعتبار الكفر علّة للقتال، والاستمرار في استخدام مصطلحات "دار الكفر ودار الإسلام"، مما يسمح باستخدام تلك المصطلحات في اختزال وتبسيط الخطاب الشرعي من قبل المتطرفين ليغدو أكثر قابلية للانتشار بين الشباب.

كما لفتت باحثة إلى أهمية تأهيل داعيات يقمن بمخاطبة النساء، كونهن لا يتأثرن بخطاب الدعاة الرجال، لافتة إلى وجود تقصير كبير فيما يتعلق بهذا الموضوع، خاصة مع توارد الأنباء عن شدة تمسك نساء تنظيم "داعش" بمعتقداتهنّ من خلال ما ظهر من ممارساتهنّ في مخيم الهول والمقابلات التي أجرتها بعض القنوات التلفزيونية مع بعضهنّ، كما لفتت النظر إلى

ضرورة استخدام الأساليب والقوى الناعمة، واختراق وسائل التواصل الاجتماعي، واستخدام رسوم الكاريكاتير وما شابه من أساليب يسهل دخولها إلى وجدان الشباب والشعوب بشكل عام، داعية إلى التركيز على الوسائل الناعمة، الأمر الذي أكده باحث متخصص في حركات الغلو، مؤكداً على دور تلك الوسائل الحديثة في إيصال المعاني المطلوبة إلى قلوب الشباب، كما أشار باحث شرعي متخصص إلى ضرورة فصل الخطاب الإعلامي عن الخطاب العلمي النخبوي التخصصي، مؤكداً على ضرورة حمل الخطاب التفصيلي النخبوي من قبل عدد كبير من المتخصصين، مع الاتفاق على محددات أساسية عامة في الخطاب الإعلامي، بحيث لا يتم الخوض في التفاصيل إلا على المستوى النخبوي.

كيف يمكن أن تنظر المعارضة الوطنية لملف المقاتلين الأجانب؟

أثار الحديث عن الغلو والتطرف مسألة المقاتلين الأجانب في صفوف التنظيمات المتطرفة، وقد قدم ناشط سياسي مداخلة حول ورقة بحثية عمل عليها مع مجموعة من النشطاء، تجيب عن سؤال مهم متعلق برؤية المعارضة الوطنية لملف المقاتلين الأجانب، فهل ترى المعارضة تسليمهم إلى دولهم أم محاكمتهم في سورية؟، أم قتالهم؟، ليؤكد على أن المعركة مع الغلو والتطرف معركة سورية ذاتية بامتياز، وليست معركة الدول والقوى الأخرى، بالتالي، رأى الناشط ضرورة ربط هذا الملف بالحل النهائي في سورية، على أن يتم تأمين محاكمات عادلة لكلّ من تورط بجرائم من المقاتلين الأجانب، وبشكل متساو مع بقية السوريين، فليس من العدل ولا من الإنصاف تسليمهم لبلادهم في حال أنها لا تضمن لهم محاكمات عادلة، محذراً من الانزلاق لخطابات تتبنى مثل هذه الطروحات، مما يؤدي إلى دفع من حيد نفسه عن قتال السوريين من أولئك المقاتلين إلى معاداة المعارضة الوطنية وفصائلها، مؤكداً على ضرورة التعامل مع هذا الملف من منطلقات وطنية وشرعية، وبما يتوافق مع مبادئ حقوق الإنسان، فلا يجوز تسليم أي إنسان لسلطات لا تضمن حقوقه في الحصول على محاكمات عادلة، وفي ذات الوقت، يمكن التعامل مع مختلف الدول وفق المعاهدات القضائية المشتركة أصولاً، مؤكداً على ضرورة نأي مختلف فصائل المعارضة السورية عن الغلو والتطرف وفصائلهم المختلفة، من خلال العديد من الاجراءات والممارسات، كالتأكيد على اعتماد علم الثورة السورية ورايتها الجامعة من قبل مختلف الفصائل.

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

sydialogue

www.sydialogue.com